**2. المنهج النفسي**

**تعريفات:**

* هو المنهج الذي يقوم على تحليل النص الادبي تأسيساً واستناداً على النظريات والمقولات النفسية في التحليل النفسي
* منهج يقوم على دراسة الأعمال الأدبية لمعرفة الأنماط والنماذج النفسية الموجودة فيها ، والربط بين الشخصيات الموجودة في الأعمال الأدبية وبين شخصية الأديب ، فقد يقوم الأديب بإسقاط شخصيته على شخصية من شخصيات قصته أو ورايته .
* ذلك المنهج الذي يخضع النص الأدبي للبحوث النفسية، ويحاول الانتفاع من النظريات النفسية في تفسیر الظواهر الأدبية، والكشف عن عللها وأسبابها ومنابعها الخفية وخیوطها الدقيقة، وما لها من أعماق وأبعاد وآثار ممتدة، كما يعتبر تحلیلا لشخصيات الادباء وخصائص شخصياتهم اعتمادا على نتاجاتهم وأحداث حياتهم، واعتبار العمل الأدبي صورة تعكس حياة الأدیب وسماته الشخصية عن طريق تطبیق نتائج علم النفس الحدیث على شخصيات الأدباء ونتاجهم الأدبي.
* هو المنهج الذي يعتمد على معطيات علم النفس الحديث في معالجته للنص الأدبي، وهذه المعطيات تقوم على نتائج الدراسات التي نهض بها علماء النفس.

**علاقة الأدب بعلم النفس**

يتصل الأدب و النقد الأدبي إتصالا وثيقا بعلم النفس فالأدب في كل ما يصدر عنه من نشاط أدبي يستلهم تجاربه العقلية و النفسية، و هو مرآة تتجلى عليها مشاعر الأدب. و النص صورة نفسية لمبدعه. فالناقد يستعين بحقائق نفسية ذات مصطلحات خاصة في تفسير بعض مظاهر الأدب و عناصره. و في الحكم الأدبي عند نقده من هذه الحقائق النفسية التي يظهر أثرها في نسيج النتاج الأدبي يستعين بها النقاد في التفسير والحكم على العمل الأدبي . و كثير من طلاب الأدب و النقد الذين لا دارية لهم في علم النفس ينظرون إلى هذه الحقائق النفسية و مصطلحاتها في الإستعمال الأدبي و النقدي كألغاز، و يستنبطون مفهوم كل منهما من خلال النصوص وفهمها بالتعمق فيها.

وعلم النفس و التحليل النفسي إرتبط منذ بداياته بالممارسات الفكرية للإنسان و ظهر مؤخرا هذا الإرتباط، بظهور فروع جديدة لهما، والتحليل النفسي وسيلة الباحث في الأعماق و المتوغل في طيات الوعي . ومن هنا تظهر العلاقة المتينة بين الأدب و علم النفس. كما أن صلة علم النفس بالأدب و النقد صلة ممتدة الجذور في التراث الإنساني و خصوصا تلك التي تربط الأدب بصاحبه، و هذا التراث واسع لا يمكن حصره في صفحات قليلة لأن القائمة طويلة تضم عددا كبيرا من أسماء الفلاسفة و علماء النفس فضلا عن النقاد و الأدباء و الفنانين. ويمكن إستظهار تلك الصلة عند **أفلاطون** في موقفه من الفن والأدب، و عند **أرسطو**، وعند علماء النفس مثل **فرويد، يونغ، أدلر**، وعليه فإن النفس تصنع الأدب، و كذلك يصنع الأدب النفس فالنفس تجمع أطراف الحياة لكي تصنع منها الأدب، و الأدب يأخذ من حقائق الحياة لكي يضيء جوانب النفس . ومن هنا نستنتج العلاقة الوطيدة بين علم النفس و الأدب و أن النفس تخلق الإبداع الأدبي، والأدب نتاج النفس التي تختلج نفس الإنسان.

**نشأة المنهج النفسي**

 لم يظهر المنهج النفسي إلا في القرن التاسع عشر مع ظهور علم النفس وظهور رائده **سيغموند فرويد** ، حيث قال فرويد أن العمل الأدبي له هدف وغاية سعى الأديب لإيصالها من خلاله ، فقد يعبر الأديب في أدبه عن رغبات مكبوتة لا يستطيع إشباعها في الواقع ، فيقوم بإسقاطها على شخصيات عمله ، لذلك رأى فرويد أن دراسة شخصية القصة ستدل على حالة الكاتب الشخصية ورغباته المكبوتة ، ويرى فرويد أن مرحلة الطفولة تلعب دورا في حياة الأديب ، فإن عانى من رغبات مكبوتة فإنها ستظهر بشكل جلي في أدبه .

وقد ارتبط اسم فرويد بالتحليل النفسي على الرغم من وجود مدارس واتجاهات مختلفة في التحليل النفسي، والتحليل النفسي منهج لعلاج الأمراض العصبية والنفسية توصل إليه فرويد بالتدرج فبدأ بـ(التنويم المغناطيسي)، ثم تخلى عنه واستخدم (التداعي الحر)، ثم (تفسير الأحلام) هادفاً إلى الكشف عن العقد المخبوءة في لا شعور الإنسان ودفعها إلى السطح، وتحليلها ثم استخدامها في إحداث تحول في الموقف النفسي من شأنه أن يؤدي إلى الشفاء.  
ويرتكز التحليل النفسي على فكرتي الكبت والطفولة الجنسية التي يعدها فرويد الأساس الذي يختبئ وراء الأمراض العصابية، وعلى أن لكل سلوك دوافع ورغبات غير منظورة، وأن الأحلام التي تعبر عن تلك الرغبات المكبوتة، والحياة العقلية عند فرويد قطبان هما: الشعور واللاشعور، والأخير هو مجموعة المشاعر المكبوتة بينما الحياة النفسية عنده تنظمها ثلاثة مستويات متداخلة:  
-1 الهو: وهو طبقة من الرغبات المكبوتة لا شعورياً.  
-2 الأنا: وهو مجال الشعور، ويشكل وسطاً بين اللاشعور (الهو) وبين الواقع الخارجي (الأنا العليا)  
-3 الأنا العليا: وهو المستوى الذي يمثل قوانين المجتمع وقيمه ويعمل وسيطاً بين الشعور واللاشعور.

ووافق **يونغ** تلميذ فرويد أستاذه في بعض الجوانب لكنه رفض مغالاته في حصره الإبداع الفني تحت إطار العقد النفسية .  
أما **أدلر** فخالف فرويد في أفكاره وقال بأن التعلق بالحركة لإثبات الذات هي الدافع الأساسي والمحرك الرئيسي للإبداع في النفس البشرية .  
وفي العالم العربي قام مصطفى سويف بتأسيس مدرسة أطلق عليها اسم مدرسة علم نفس الإبداع ، وقام شاكر عبد الحميد بتأليف كتاب أطلق عليه : الأسس الفنية للإبداع الفني في المسرح .

**مجالات النقد النفسي**

يركز المنهج النفسي في دراسته للأعمال الإبداعية على الجوانب مختلفة نذكر منها:

**1-الاهتمام بعملية الإبداع الفني**

إن العنصر النفسي أصل مــن أصول العـمل الأدبي، أي أنه تجــربة شعورية تستجيب لمؤثرات نفسية، والسؤال المطروح كيف تتم عملية الإبداع الفني والأدبي؟

يرى فرويد أن العمل الأدبي يمكن النظر إليه من خلال علاقته بأنشطة بشرية ثلاثة: (اللعب، التخيل، والحلم). فالإنسان يلعب طفلا ويتخيل مراهقا ويحلم أحلام يقظة أو نوم وهو في كل هذه الحالات يشكل عالما خاصا به، وما أشبه المبدع بالطفل الذي يلعب عندما يصنع عالما من خيال يصلح فيه من شأن الواقع.

والإبداع شبيه بالتخيل، لأن التخيل عند المراهق يعادل اللعب عند الطفل.

والإبداع شبيه بالحلم من حيث أنه انفلات من الرقابة، ومن حيث أن الصور فيه رمزية لها ظاهر وباطن .

وقد ركز فرويد على هذا الجانب تحديدا – ارتباط الأدب بالحلم- لأن كلا منهما يمثل انفلاتا من الرقابة وهروبا من الواقع، ولذلك قسم فرويد النفس البشرية إلى مناطق ثلاثة:

أ-الأنا: وهو الجانب الظاهــر مــن الشخصية وهـذا الجانب يتأثر بعالم الواقــع مــن ناحية وبعالــم اللاشعور من ناحية أخرى، وهو يميل أن تكون تصرفاته في حدود المبادئ الخــلقية التي يقــــــرها الواقع.

ب- الأنا العليا: وتتكون منذ الطفولة فالطفل يزن الأمور حسب نظرة والده، فالطفل يعجب بوالده الذي يجمع بين القوة والعطف.

ج- الهو : يرى فرويد أن هذا الجانب من أهم الجوانب في حياة الإنسان، ومن صفاته:

1. إنه لا يتجه وفق المبادئ الخلقية.
2. إنه جانب لاشعوري.
3. يسير على مبدأ تحقيق اللذة والألم.
4. لا يتقيد بقيود منطقية.
5. من مركباته النزعات الفطرية والوراثية، وأهمها االنزعة الجنسية.

فالإنسان حسب فرويد إنسان غير سوي تسره الغريزة الجنسية، وما يظهر من مظاهر الحماسة إشارة إلى هـذه الغـريزة ورمز لها.

وفي هذا التطبيق يفسر النص من خلال مؤلفه، في المقابل استنباط حياة المؤلف من خلال نصوصه. أي اتخاذ النص وثيقة تعين على سبر أغوار الكاتب النفسية.

ويحاول الناقد التقاط ما أمكنه من جزئيات السرية الذاتية للمؤلف: طفولته، نشأته، وظروف حياته، ومسودات كتبه واعترافاته، وكل ما من شأنه أن يساعد على تحليل نفسية الكاتب.

**2- النص والمتلقي**

وهنا يعنى الناقد بعلاقة العمل الأدبي بالآخرين، وتأثرهم به مجيبا بذلك على سؤال طرح كثيرا, هو: لماذا يستثيرنا الأدب؟

فأجاب بعضهم قائلا: إنه يستثيرنا لأنه يقدم في شكل رمزي، فنحن نعيش تجاربنا السابقة مع هذا النص. وهنا يكون التركيز على المتلقي ومدى استجابته نفسيا لهذا العمل الأدبي.

**3-** دراسة حياة الادباء كوسيلة لفهم نتاجهم الادبي. وهنا تتم دراسة السيرة لفهم مشاكل المؤلفين الشخصية وانعكاساتها على ارائهم وفهم اساليبهم الرئيسة في كتاباتهم.

**4-** استعمال علم النفس في شرح الشخوص القصصية. وهنا يتم البحث عن انماط من اللاوعي تحرك الشخصية.( مثل دراسة جونز عن هاملت)

**أسس المنهج النفسي:**

يقوم المنهج النفسي على مجموعة من الأسس والمبادئ أهمها:

1. كل نص ابداعي هو نتيجة سببية نفسية، وهو يحتوي على مستوى ظاهر ومستوى مضمر، كالحلم تماماً. إنه انعكاس لنفسية المبدع. والبواعث خافية على المبدع
2. ابراز المضمر في النص واخراجه هو ما يحدده النقد النفسي
3. العمل الادبي ليس سوى حالة خاصة قابلة للتحليل النفسي كغيرها من الحالات
4. النص الأدبي مرتبط بلاشعور صاحبه

5. وجود بنية نفسية متجذرة في لاوعي المبدع تنعكس بصورة رمزية على سطح النص ، وأثناء التحلیل لابد من استحضار هذه البنية الباطنية

3. ینظر رواد المنهج النفسي إلى الشخصيات المذكورة في الأعمال الأدبية على أنها شخصيات حقيقية لأنها تعبر عن دوافع ورغبات المبدع.

4. الأدیب شخص عصابي يحاول أن يعرض رغباته في شكل رمزي مقبول اجتماعياً

**عيوب المنهج النفسي**

-1 يعامل النص الأدبي كإنتاج مرضي.  
-2 الابتعاد عن النواحي الجمالية والتذوقية للنص وضياع القيم الفنيّة والجماليّة للنص الأدبي؛ نظراً للتركيز على تحليل نفسيّة الكاتب.  
-3 الدراسات المتقاربة أو شبه المتقاربة التي أنتجها المنهج النفسي.  
-4معاملته للعمل الأدبي على أنّه وثيقة نفسيّة محصورة بمستوى واحد، بالرغم من أنّ العمل الأدبي بطبيعته ينشطر لعدّة طبقات ومستويات، تتراوح ما بين الجيّدة والرديئة.

5-الاهتمام الكبير بالأديب مع إهمال النص، ويأتي ذلك باعتبار أنّ النماذج الأدبيّة هي نماذج بشريّة.

6-التركيز على حياة الأديب السلوكيّة، والالتفات للباطن اللاشعوري له؛ سعياً لإثبات معاناته من مرض نفسي أو عقدة نفسيّة ما.

7-إرجاع أعمال الأديب وإسنادها إلى الأساطير السابقة، وعدم اعتبارها عملاً أدبيّاً يعكس تصوّرات المجتمع المعاصر، وقضاياه ومشكلاته.

8-كثرة التفسيرات الجنسيّة للرموز الفنيّة الواردة في العمل الأدبي.

9-الخلط بين الإبداع والشذوذ.

10- يعامل المنهج النفسي الأدب الجيد بنفس معاملة الأدب الرديء ، وذلك بسبب نظرته للأدب على أنه وثيقة نفسية فقط لا غير ، تعبر عن رغبات الشاعر أو الكاتب المكبوتة   
11- يعتمد المنهج على الفرضيات والكشوفات التي يقوم باكتشافها علم النفس ، دون الأخذ بعين الاعتبار أن هذه النظريات قد تكون خاطئة أو لا يمكن تطبيقها على الأديب .

وبذلك نستطيع القول: إن المنهج النفسي سلاح ذو حدين من أسلحة النقد يجب استخدامه بحذر شديد، لأن من المصائب الكبرى أن يتحول النقد الأدبي إلى عيادة نفسية نحضر إليها المبدعين كافة من أدباء وشعراء وفنانين لنعالجهم بوصفهم مرضى نفسيين، أما الوجه الإيجابي فيه، فهو كونه يسهم مع بقية المناهج النقدية في فهم الأعمال الأدبية والفنية عموماً وتحليلها وتفسيرها وإعطاء حكم قيمة لها.

**الخطوات الإجرائية التي ينبغي يتّبعها الناقد في المنهج النفسي التحليلي**

1. دراسة السيرة الشخصية للأديب : أن يتعرف على الوقائع والأحداث التي عاشـها الأديب ، والمؤثرات البيئية بأنواعها وباقي العوامل التـي أسـهمت فـي تكـوين شخصيته وتشكيل دوافعه ، وتحديد شكل استجاباته

2. الوقوف على دوافع الكاتب النفسية : أن يتعرف الناقد على دوافع الكاتب من خلال استجاباته التي تجلت في النص موضوع الدراسة ، وأن يتعرف على تطور دوافعه النفسية وتحولاتها من خلال أعماله الأخرى ، السابقة أو التالية للعمـل موضـوع الدراسة

3. تفسير السلوك : أن يحاول الناقد تفسير سلوك الأديب أو الشخصية الأدبية داخـل العمل الروائي والمسرحي على ضوء نظرية التحليل النفسي ، وذلك بعد أن تعرف على العوامل الأساسية والعرضية التي أثرت في شخصيته وتشكيل دوافعه

4. دراسة الأثر الأدبي : ينتقل الناقد من در اسة شخصية الأديب إلى دراسة أدبه ، كما ينتقل من دراسة الأثر الأدبي إلى دراسة الأديب ، ويراعي في دراسته للأثر الفني المرور بالمراحل الاتية :

* تعريف العمل الأدبي : عنوانه ، وجنسه ، واسم مؤلفه، وبيئة مؤلفه ، وتحديد زمـن صدوره ، والظروف التي تم فيها نشره
* تحليل عنوان العمل الأدبي وبيان دلالته النفسية ، ومدى ارتباطه بشخصية الكاتـب ، ومدى تعبيره عن رؤيته
* قراءة العمل الأدبي قراءة فاحصة تمكّن الناقد من تحديد الفكـرة العامـة للعمـل ، والهدف الذي ينشده الكاتب ، أو الرسالة التي يريد توصيلها للقارئ.
* تقسيم العمل إلى وحدات نصية ، وتحليل كل منها ، واستخلاص الانعكاسات النفسية منها ، ثم عقد موازنات بين هذه الوحدات .
* تجميع المعالم النفسية في صياغة موحدة مترابطة ً فكريا ومنسجمة ً نظريـا مـع مـا توصل إليه الناقد مع الاستشهاد بفقرات من نص المؤلف للتدليل على صحة رأيه .
* استنباط مفتاح شخصية الأديب من خلال الدراسة التحليلية للمعطيات النصية ، ومـا عرف عن سيرته وشخصيته .
* كتابة تعليق ختامي على النص ومدى تمثيله لنفسية الأديب ، وتحديد مستوى العاطفة لبيان مدى نجاح الأديب في التأثير في القارئ

**المنهج النفسي في النقد الادبي العربي الحديث**

هنـاك مـن يـرى أن بـزوغ هـذا الإتجـاه في العصـر الحـديث والإسـتفادة منـه مبكـرا كـان علـى يـد العقـاد مـن خلال كتابه "ممارسات في النقد النفسي " إضافة إلى طه حسين سنة 1914م ، في رسالته عـن " أبي العـلاء" . وقد قدم العقاد العديد من الدراسـات السـيكولوجية ، مـن أهمهـا كتـاب بعنـوان " ابـن الرومـي" ، ومحاولتـه تقـديم تفسـيرات نفسـية حـول شـعره انطلاقا مـن البحـث عـنكـل مـا يخـص حيائـه ، فهـو يقـوم بترجمـة باطنيـة لـنفس الشـاعر ، ومـن هـذاكلـه فقـد توصـل العقاد ومن خلال دراسته لإبن الرومي ، بأنه مصـاب بمـرض الخـوف واخـتلال الأعصـاب ، وهـذان الشـيئان ناتجـان عـن الجانــب الــداخلي للمبــدع ، ولــيس للعوامــل الخارجيــة ، بســبب في ذلـك ، كمــا لــه كتــاب آخــر بعنــوان "أبــي نواس" محاولا في ذلك دراسة مراحل حياته بغرض الوصول إلى ما تكشـفه الـذات مـن خفايـا أثنـاء عمليـة الإبـداع ، فقد توصل في دراسته هذه إلى أن البيئة الاجتماعية كان لها تأثير على النفسية وبالتالي ولدت له عقد نفسـية وهـذه العقـد تترسـب في منطقـة اللاشـعور. هذا من الناحية التطبيقية ، أما من الناحية النظرية فنجد إسهامات أمـين الخـولي ومحمـد خلـف االله ، إذ ألـف هـذا الأخـير كتابـا تحـت عنـوان"مـن الوجـة النظريـة فـي دراسـة الأدب ونقـده" سـنة1949م حيـث أكـد فيـه علـى الصــلة القائمــة بــين الأدب وعلــم الــنفس في حــين نشــر أمـــين الخـــولي كتابــا بعنــوان "البلاغـــة وعلـــم الـــنفس" سـنة1939م ، ثم اتبعـه ببحـث تحـت عنـوان "علـم الـنفس الأدبـي" سـنة 1945م ، كمـا نجـد مصـطفى سـويف صاحب كتاب" الأسس النفسية في الإبداع الفني في الشـعر خاصـة" حيـث تنـاول معضـلة الإبـداع الفـني ، وقـد حاول فيه الإجابة عن السؤال كيف يبدع الشاعر قصـيدته؟ كمـا نجـد إسـهامات محمــد النــويهي في هـذا الميـدان ، ففـي كتابـه "ثقافــة الناقــد الأدبــي" تحديـد المعرفـة النفسية اللازمة للناقدين في فهم العمل الأدبي والحكم عليه ، أما في كتابه عن شخصية "بشـار" الـذي أصـدره عـام 1951م ، فلا يختلف عن منهج العقاد في كتابه "ابن الرومي" ، لكنه يعود ويطلعنـا سـنة 1953م بكتـاب  عـن نفسـية أبــي نــواس وهـذا الكتـاب هـو محاولـة جديـدة للإسـتفادة مـن تحليـل نفسـية الشـاعر في فهـم شـعره.

ويمكن القول إ نّ الناقد عز الدين اسماعيل هو من أحسن النقاد الذين طبقوا علم النفس على الأعمال الأدبيـة ، وتفسـيرها تفسيرا نفسيا وإذكان هذا التطبيق لا يخلو من المبالغة في أحـايين كثـيرة ، فكانـت مسـيرته النقديـة متعـددة ولم تثبـت علـى مـنهج أو اتجـاه واحـد ،فهـو مـن بـين الـذين تبنـو ا هـذا الإتجـاه الـذي تجلـت معالمـه في صـورة خاصـة مـن خـلال كتابيــه "الأدب وفنونــه" و"التفســير النفســي لــلأدب" ، وفي هــذين المــؤلفين تبلــورت بعــض أســس نظريــة النقــد النفسي.

إذ نفهـم أن التحليـل النفسـي للشخصـيات يسـعى الناقد من خلاله للوصول إلى النفس الإنسانية. "ومنـه قـد شـهدت منـاهج النقـد العـربي الحـديث منـذ أواخـر العشـرينيات حركـة تجديـد شـاملة ، بـدأت تهـتم بدراسة الأدب العربي في ضوء مناهج البحث العلمي ، وخاصة المنهج النفسي.  ومنـه فـإنّ نشـأة وتطـور الإتجـاه النفسـي ، قـد عـرف عـدة تحـولات ، حيـثكـان في القـديم مجـرد ملاحظـات ونظريات لم ترق إلى التطبيق ، إلى أن جاء العصر الحديث حيث ظهـر العديـد مـن النقـاد الـذين أخرجـوه مـن توقعـه التنظـير إلى التطبيـق ، مـن خـلال إصـدار العديـد مـن الكتـب ودراسـة نفسـيات الشـعراء الـتي تحـدث عـن هـذا الاتجـاه بكل معالمه.